

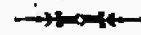


دراسات في الفن

معضلة

بين الفن والقانون

للأستاذ عزيز أحمد فهمي



قابلتني ، وكنت أنا في هذه المرة المهموم فسألتني مشقة :

— مالك ؟

— إني متألم لصديق نوحك نكبة أن نحل به ويلزمه العيش
أن يمهّد لها السبيل كي نحل به

— أعوذ بالله ! ومن صديقك هذا ؟ أعرفه ؟

— تعرفينه ، ويعرفه الكثيرون . هو محمود حسن إسماعيل
الشاعر ، والموظف بوزارة المعارف

— محمود إسماعيل ؟ وماذا جرى له ؟

— عينه اليسرى ضميقة — فيما تقول الوزارة — وهو الآن
يمالجها ليقويها لينجح في الفرصة الأخيرة من فرص الكشف
الطبي ، لتجدد الوزارة عقده وتثبتته في وظيفته ...

— فهل أصابها سوء وهو يمالجها ؟

— يقول إنها تتقوى

— وأى شيء في هذا ؟

— أن يتمتع الشعر على محمود !

— إيه ؟ ولماذا ؟

— لأن عينه اليسرى هي التي يرى بها الشعر ما دامت على

هذه الحال

— أما قلت لي هذا من الأول ؟ أحببت ما يهيك جداً .

وماذا ياسيدي ؟

— لا شيء ، أما يكفيك هذا ؟ كم هم الشعراء في مصر الذين

يشبهون محموداً في مصر الآن ومن قبل

— بإسلام !! إلى هذا الحد تكبره ؟

— هذا رأي . وقد قلته له في وجهه ، وأنت تعرفين قلة

ما أقتنع بالناس ، وندرة ما أصرح بهذا الاقتناع ... وأنا كما قلت
لك دائماً أعجز الهاجرين ، وأضعف الضعفاء

— ولكنني لا أرى محموداً كما تراه ...

— فليكن رأيك فيه ما يكون . ولكن التاريخ سيشهد بأن

الشعر العربي في مصر بدأت تكثر فيه التماييح ، والأنغام ،
والتهاول ، والطهارات ، والأشعة ، والضفادع ، والثيران ،
والفران ، والنخيل ، والبقول ، والزهور ، والأرواح ، والأطياف ،
والمنازل ، والمزمار ، والباسم ، والمشاعل ، والسواق ، والأكواخ ،

و... و... من بعد اليوم المبارك ٢٣ يناير سنة ١٩٣٨

— وهل استصدر محمود في هذا اليوم مرسوماً من القصر

الملكي باستعمال هذه الألفاظ في الشعر ، وطواف الشعراء حول
ما يحيط بها من الباني ؟

— نعم . لقد فعل محمود هذا

— لو لم أكن نسيت مسلسل في البيت ! كيف حدث

هذا يا أخانا ؟

كان هذا اليوم المبارك هو ثالث أيام زفاف الفاروق ، وكان
جلالته قد أسعد محموداً والفن بالشرف الأسمى إذ دعاه إلى عابدين
ليرتل بين يديه من أغاني الروح على أثر إيجابه به في حفل سمعه
فيه ، وكان هذا الحفل من حفلات الجمعية الخيرية الإسلامية ،
وقد شهد هذه الدعوة حضرة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا
رئيس الوزارة السابقة ورئيس الجمعية الخيرية الإسلامية ، والظل
الأول الذي أظّل محموداً ، كما شهدها حضرة صاحب المقام الرفيع

الميون الممتازين في مصر هم الدكتور محمد صبحي وقد سمعت من الكثيرين أنه أقدّر أطباء الميون في مصر، والدكتور محمد بكرى وهو مدير مستشفى الميون بروض الفرج ... مدير المستشفى ... والدكتور إيليا ناشد وهو عضو كلية الجراحين بالمجترات ... بالمجترات لا بدعشتر ... وقد قرر هؤلاء الفحول الثلاثة أن عينه اليسرى هذه سليمة، وأن أعصابها قوية ... فهي إذن ليست ضميعة ...

— إذن فقد كان يجب عليها أن تنجح في الكشف الطبي

— هذا لو أنها كانت كبقية الميون التي ركبها الله تركيباً يمكنها من رؤية علامات الكشف الطبي

-- وهل هي مركبة تركيباً آخر فليست مثل عيون الناس ؟

— إسمي ! هل تصدقني النبي محمداً أو أنت تكذبنه ؟

— معاذ الله أن أشك في قوله

— الحمد لله . كان محمد رسول الله يقول إنه كان يسمع الوحي سمعاً ... وكان يوحى إليه في الموقعة الحربية ، وكان يصاحبه في مواقفه الحربية جنوده وأنصاره فلا يسمع الوحي أحد غيره . فهل كانت أذن محمد كآذان بقية الناس ؟ أجبني ؟

— كان محمد نبياً

— وكان بشراً مثلنا بتقرير القرآن وتقريره هو نفسه ... فتكذبن القرآن ؟

— حاشا لله ...

— إذن فهو لا يختلف في شيء عن تكوين البشر ... ومع هذا فقد كان يسمع ما لم يكن يسمعه جيرانه والملتصقون به ... فلا بد إذن أن يكون من تكوين البشر حالات خارقة نادرة يستعصى على الآلات وأجهزة الكشف الطبي قيامها ...

— كأي أريد أن أوافقك وأن أقول إن هذا كلام معقول

— هو معقول لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فحمد الرسول كان بشراً وكان نبياً له أذن تسمع ما لم يكن يسمعه للناس ... وكذلك كان موسى . وكذلك في جهة أخرى كان بهموفن الوسيق الأصم . وكذلك كل موسيقى آخر يلتقط الأنغام من الجو . موهبة السمع فيهم واحدة وإن كانت تشكل بأشكال مختلفة ... ومحمود حسن إسماعيل شاعر ، وله عين يرى بها ما لا يراه بقية الناس ... هذا أمر لا عجب فيه ...

على ماهر باشا رئيس الديوان الملكي سابقاً ، ورئيس الوزارة اليوم . وكانت هذه الدعوة هي هذا الرسوم ، وقد تلاه محمود في عابدين ... إنه الشعر الذي طاب للملك ... والملك عارف ، والملك عبقرى ، والملك ناقد فذ

— ما أبرعك صديقاً !

— في اختيار أصدقائك لا في رفعهم بالباطل

— فحمود إذن له قيمة ...

— قيمة خطيرة . ولو أن ملكاً في غير مصر فعل هذا الذي فعله الفاروق أعزّه الله في شاعر لبدات الحكومة ، وبدأ الشعب يدرسان هذا الشاعر ، قالك لا يدعو كل شاعر ، والملك لا يفعل ما يفعل عبثاً ، فهو يعرف أنه رأس الدولة ، انظرى إليه ... من الذي أعلن عنه رضاه من رجال المسرح بعد أن استعرضهم جميعاً ... أليس هو نجيب الريحاني ؟ ... ومن في رجال مسرحنا مثل نجيب الريحاني ؟ ... وانظرى ... ألم يفن عبد الوهاب في القصر

— خياه جلالتة حين سمعه بكل ما في الملوك النبلاء من أدب ورقة ...

— إنك بدأت تفهمين ... يخيل إلي أنه ليس في مصر من يحس ويتذوق ويفهم مثل فاروق الأول ... تربية فؤاد الملك الذي اعتلى العرش بعد ما اختبر الحياة مع الملوك ومارس الحياة في صميمها بين أفراد الشموب ... فمرف بعد ذلك كيف يملك وكيف يحكم وكيف يعد للعرش من بعده ملكاً يتغلغل بالإدراك في تلافيف وطنه ... ومحمود الشاعر الذي قدره الفاروق والذي يهتف الجيش اليوم بنشيد من شعره ، تساومه الآن وزارة المعارف ووزارة المالية في فته ، لا بد أن يفقده إذا أراد أن يبقى موظفاً ...

— فهل يصح أن يحدث هذا ؟ كلا ! فلا بد أن يفنى من الكشف الطبي

— ولكن أحداً لم يطلب منه أن ينزل عن شعره !

— لهم يردون منه أن يقوى عينه اليسرى ... وقد قلت لك إن عينه اليسرى هذه هي التي يرى بها الشعر

— وكان يجب أن أقول لك أما إن هذا هو كلام المجانين

— أرجوك ألا تصدرى حكماً على شيء قبل أن تبحثيه وتدرسيه ... لقد عرض محمود عينه هذه على ثلاثة من أطباء

— لو كان لديك دلائل مادي غير هذه الاستنباطات

— الدليل موجود... وهو في شمر محمود... إقرئيه تجدى

تسمين في المسألة منه على الأقل كلها صور بصرية... إنه يشبه حتى المجموعات بالمرئيات... إنه يرسم معانيه صوراً كل صورة منها يمكن أن توضع في إطار... إن شمرك كله يمكن أن يترجم إلى رسوم... فكيف يتاح له هذا إلا إذا كان يرى هذا الذي يصفه... لا تقولى إنه يتكلف هذا... فالتكلف لا يستطيع أن يستمر وأن يتجدد وأن يفيض مثلاً بفعل محمود... إنه يرى هذه الأشياء حقاً... إقرئ شمره !

— فليكن هذا حقاً... فكيف تحكم بأنه يرى هذه الأشياء

بعينه اليسرى لا اليمنى...

— لأنه يغمض عينه اليسرى حين يكتب... أنا أعرفه...

وقد رأيته كثيراً وهو يسمح وراء خياله... كما رأيته كثيراً وهو يكتب... ورأيته يغمض عينه اليسرى كلما كتب شعراً — قد تكون عادة !

— لا . بل إنه يغمض عينه اليسرى ليسترجع هذه الصور

التي يصفها وليراها في وضوح... ويفتح عينه اليمنى ليرى بها القلم والورق و « اللسكى سترايك »

— يا لها من خرافة !

— إنها ليست خرافة... وإنما هي رأى... ومع أنه رأى

فإنى لا أريد أن أقطع به ، فإن كنت قد تعلمت شيئاً فإن أساندى الذين علموني لا يزالون بحمد الله موجودين على قيد الحياة...

وهم جميعاً طوع أمراً وزارة المعارف ، ووزير المعارف رجل من رجال التربية وعلم النفس فهو عالم ومعلم قبل أن يكون سياسياً ووزيراً... ووكيل المعارف رجل من المجتهدين ومن لهم آراء جديدة في فقه ، ومنهم من تنف عقولهم عند القديم المقرر... فهو يرحب بالدراسات الجديدة من غير شك... فهذا

وزير عالم وهذا وكيل مجتهد ، والأستاذ عبد السلام القبانى المتفنن في دراسات النفس وتجارب التربية موجود في معهد التربية للمعلمين وهو وكيله ، والدكتور عبد العزيز القوصى أستاذ علم النفس بالمعهد موجود أيضاً وأظن أن الرسالة القيمة التي نال بها إجازة الدكتوراه في علم النفس على يد سبيرمان كبير الاساتذة الإنجليز كانت خاصة بالعين ، والبصر ، والنظر... وهذه الرسالة

المعارف من أولها إلى آخرها بمن فيها من علماء النفس ، والمربين والأدباء والفلاسفة... وهذه حالة شاذة يصح أن تدرس... فلماذا لا تدرس ؟ هي عين يقولون إنها ضعيفة ، ويقول الأطباء إنها قوية ، ويقولون إنها لا ترى علامات الكشف الطبي ، وأقول إنها ترى صوراً لا يراها الناس ويصفها محمود بالشعر... فكيف تحكم حكماً صحيحاً في هذه المعضلة إلا بالدرس... أليس الدرس هو الطريق الطبيعي المنطقي الوحيد الذي يستطيع الإنسان به أن يصدر حكماً في مسألة من المسائل ؟ فإذا لم نسلك هذا الطريق الوحيد مع شاعر رضى عنه الملك وينشد جيشنا شعره... فمع من نسلك طريق المنطق والعقل والطبيعة... إن المسألة أخطر مما تتوهمين !

— ولكن كيف تدرس هذه الحال ؟

— أنا لا أعرف كيف... فلت دكتوراً في علم النفس ، ولا أنا شيء ما... وإنما هذه فكرة خطرت... أنا ذهبت إلى وزارة المعارف ومضى إنسان في « زكية » ، وقلت لها يا وزارة المعارف خذى هذا الإنسان وأدخله في مدرسة من مدارسك الابتدائية ، فهل ترفضه الوزارة ، أو تقبله قبل أن تخرجه من الزكية فتعرف إذا كان هو صديقاً أو صبية... وهل هو أو هي مستوف أو مستوفاة لشروط الدخول في المدارس الابتدائية... أو أسمره غير ذلك... كذلك موثق الآن مع وزارة المعارف وفي يد محمود اسماعيل... أفلا يجب عليها أن تتعرف ما هو ؟... قبل أن تفصله أو تثبته أو تطالبه بتقوية عينه... أو...

— وما لوزارة المعارف وهذا كله... إنها تريد موظفين بعيون قوية

— اللهم يارب عفوك... إن في الموظفين من ليست لهم عيون قوية ، ولا عيون... قوية...

— وماذا يضره لو أن عينه تقوت ؟

— إنها لن تقوى يا إنسانة... إنها مخلوقة هكذا... هذه هي قوتها . فهل يرضى مصر لو فشل محمود في تقوية عينه أن تلفظه وزارة المعارف فيسرح على الأبواب يقول : « الحمد لله لمقتدر » إن المسكين يضع على عينيه اليوم ثلاثة مناظير زاهياً أنها وسيلته إلى تقوية عينه وهو يخدع نفسه أحياناً فيزعم أنها تقوت — ولماذا تقول إنه يخدع نفسه ؟

— إنك تشجمني
— أكتب واطلب من وزارة المعارف أن تؤلف لجنة من
علمائها لدراسة هذا الموضوع ...
— طيب . على الله ...

وهانذا كتبت ... فمن يكتب عن معضلي أنا ؟
عزيز احمد فهمي

— له شهر وأكثر وهو بهذه المناظير الثلاثة . واحد معتم
للشمس ، وواحد مكبر لتقوية عينه اليسرى ، وواحد زجاج على
اليسرى ليكشفها قترى ، وسواد على اليمنى لينمها من الرؤية تحكيماً
لليسرى من التدريب على النظر ... ومنذ عصب عينيه بهذه المناظير
قد كف عن الشمر . أليست تقرئين « الرسالة » على الدوام ؟
ألم تلحظي أنه احتجب منذ خمسة أو ستة أسابيع ؟ ... لقد كان
يكتب قصيدة للاذاعة فكتب منها سبعين بيتاً إلا شطراً واحداً

وقف عن كتابته منذ ظلم عينيه
بهذه المناظير . إنه الآن لا يرى
ما كان يراه من قبل وهو يعاني أزمة
نفسية قاتلة ، ولا عزاء له في هذا كله
إلا أن يردد دائماً قوله : « إن عينه
تقوت » ، وهو يقولها كلما هجز عن رؤية
شيء واضح . في سبيل الوظيفة
والخضوع للنص الحرقى القديم في
القانون سيختل عقل شاعر شاب فذ
كان يكفيها ما يلاقيه الشباب من إنكار
الشيوخ وبطشهم في هذا الزمن ...
فكيف تنقذه ... ؟

— أكتب في هذا الموضوع ؟
— ومن أنا حتى أكتب فيسمع
كلامي ؟ !

— إنك إنسان ما ... ولكن
الكلام الذي تقوله معقول . والذين
يبدم الأمر كلهم عقلاء ... وأصلبهم
وهو وزير المالية أشدهم إيماناً بالعقل ،
فهو مهندس وبالعقل وحده استطاع
أن يكون وزيراً للحربية ثم وزيراً
للمالية ... وهو مهندس ... ولم يستطع
هذا إلا لأن له عقلاً فاجحاً ...
فن بأنه سيكون في صفك ...

من اصداف البحار الجميلة



تنتج مصانع الأزوار التابعة لشركة مصر
لصايد الأسماك بالسرير أجمل أنواع
الاصداق تصنع بها أزوار غنلة
الألوان والاحجام

اطلبوا دائماً
التمتع بمنتج مصر

انتاج

مصانع الأزوار بالسويس
التابعة لشركة مصر لصايد الأسماك